"فضل الإسلام "

للأمام محمد بن عبدالوهاب

شرح

الشيخ د- سامي بن محمد الصقير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب (فضل الإسلام):

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.

باب فضل الإسلام

وقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾الآية [يونس:١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الحديد:٢٨].

وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أُجراء فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على. قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر.إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل أجرًا؟ قال: هل نقصتُكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء».

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة. نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة».

وفيه تعليقاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة». انتهى.

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: (عليكم بالسبيل والسنة...).

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه.

قال الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالته (فضل الإسلام): بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.باب فضل الإسلام.

الفضل بمعنى: الزيادة.

والإسلام له معنيان: معنًى عام، ومعنى خاص.

- فأما المعنى العام للإسلام: فهو الاستسلام لله عز وجل في كل زمان أو مكان كانت الشريعة فيه قائمة، وعلى هذا المعنى فجميع الأمم السابقة الذين آمنوا برسلهم هم مسلمون، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾[آل عمران:٦٧]،

وقال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس:٨٤].

- وأما المعنى الخاص للإسلام: فهو الاستسلام للدين الذي بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم؛ أي: ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، هذا هو الإسلام بالمعنى الخاص.

وقد يُطلَق الإسلام على الشرائع، وذلك فيما إذا قُرن الإسلام بالإيمان، فإذا قيل: ما الإيمان؟ قيل: كذا، وما الإسلام؟ قيل: كذا؛ فحينئذ يفسَّر الإسلام بأنه الشرائع الظاهرة.

وقول المؤلف رحمه الله: باب فضل الإسلام: يعني: وما اختُص به من المحاسن والفضائل، ثم ذكر الآية الكريمة.

قال: وقول الله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]: قوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ يعني: هذا اليوم، والعهد هنا عهد الحضور؛ لأن العهود ثلاثة أنواع: عهد ذهني، وعهد ذِكرِيٌّ، وعهد حضوري.

- فالعهد الذكري: أن يكون لمدخول (أل) ذكر سابق؛ كقوله عز وجل: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾[المزمل:١٦]؛ يعني: السابق.
- والعهد الذهني: أن ينصرف الذهن إلى ما في مدخول (أل)؛ كما لو قلت: (جاء القاضي في بلد)؛ فإنه ينصرف إلى قاضي البلد.
- والعهدالحضوري: كهذه الآية، ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: هذا اليوم.

وقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: قوله: ﴿أَكْمَلْتُ﴾، ﴿وَأَتْمَمْتُ﴾، لم يقل: اليوم أكملت لكم دينكم وأكملت عليكم نعمتي؛ فقال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فغاير بينهما؛ وذلك لأن الدين لم يأتِ دفعةً واحدةً، وإنما أتى على مراحل، فالشيء إذا أُنهي وأُتِمَّ على مراحل؛ يقال: أكمل، وإذا جاء دفعة واحدة؛ فإنه يقال: أتم. هذا هو الفرق بين (أكمل) و(أتم)، أن (أكمل) هو إنهاء الشيء على مراحل، ومن المعلوم أن الشريعة الإسلامية لم تأتِ دفعةً واحدة، بخلاف النعمة، فنعمة الله عز وجل مستمرة على العبد.

قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: ﴿دِينَكُمْ﴾ أي: ما تدينون الله عز وجل به.

والدين يُطلَق في النصوص الشرعية على معنيين:

- المعنى الأول: بمعنى ما يدين الإنسان ربه به، وما يتدين به، كهذه الآية، وكقوله عز وجل: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون:٦].
- والمعنى الثاني: أنه يأتي بمعنى الجزاء والحساب، كقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤].

إذًا الدين يُطلَق على ما يدين الإنسان الله به عز وجل، ويتعبد له به، ويُطلَق على الجزاء والحساب.

قال: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: (نعمة) هنا مضافة، مفرد مضاف، فيشمل جميع النعم.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾: ووجه التفضيل في هذه الآية -فضل الإسلام- من وجوه ثلاثة:

- أولًا: قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾؛ فهذا الدين الإسلامي دين كامل من جميع الوجوه، من جهة العقائد، والشرائع، والمنهج، وغير ذلك، وما عداه من الأديان فإنه ناقص، وكون الذي أكمل الدين هو الله عز وجل هذا أيضًا فضل آخر.
- ثانيًا: قوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، وأجل النعم التي أتمها الله عز وجل علينا هي نعمة الإسلام.
- ثالثًا: قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾؛ فهذا الدين هو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده.

إذًا هذه الآية تدل على فضل الإسلام من هذه الوجوه الثلاثة: أن الله أكمله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وتعالى أتم علينا النعمة به، وأنه رضيه لنا دينًا.

ثم قال رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾:يعني: الإسلام، وهذا أيضًا يدل على فضيلة الإسلام، أن الله عز وجل هو الذي يُعبَد وحده دون ما سواه.

وقوله: ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾: هذا أيضًا يدل على فضل الإسلام، وأن دين الإسلام ليس فيه سوى معبود واحد، وهو الله عز وجل.

ثم قال رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الحديد:٢٨]:وهذه الآية أيضًا تدل على فضل الإسلام من وجوه:

- أولًا: قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾؛ يعني: أجرين.
- ثانيًا: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾.
- ثالثًا: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

هذه الآية أيضًا تدل على فضل الإسلام من هذه الوجوه الثلاثة.

وأما الحديث حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثلكم ومثل أهل الكتابين»؛ يعني: اليهود والنصارى«كمثل رجل استأجر أُجراء فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم»، وهذا يدل أيضًا على فضل الإسلام؛ وذلك لأنهم أنقص زمنًا، ومع ذلك هم أكثر أجرًا.

المتن

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة. نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة».

الشرح

وهذا أيضًا يدل على فضل الإسلام، من جهة أن الله عز وجل هداهم لهذا اليوم العظيم، وهو يوم الجمعة.

كذلك أيضًا أن الأمم تكون تبعًا لنا يوم القيامة.

وأيضًا قوله: «نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة»، كل هذا

يدل على فضيلة هذا الدين.

المتن

وفيه تعليقاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة». انتهى.

الشرح

الحنيفية: من الحنيف، وهو المائل عما سوى الله.

ومعنى الحنيفية: أي المقبل على الله، المائل عما سواه.

وقوله: «السمحة»: من السماحة، وهي السهولة واليسر في العمل، فهذا الدين دين سهل ميسَّر من أصله، وعند وجود عارض يعرض، فيكون هناك تيسير.

فالتيسير في الشريعة نوعان:

- أولًا: تيسير أصلي: وهو أن جميع الأحكام الشرعية ميسرة.
- ثانيًا: تيسير عارض: بحيث أنه إذا طرأ ما يوجب التيسير؛ فإن الله عز وجل ييسر.

فمثلًا الصلاة: شرعها الله عز وجل للعباد، وهي يسيرة، أيضًا فيها تيسير آخر، وهو أن من لم يستطع القيام؛ فإنه يصلي قاعدًا، من لم يستطع الوضوء؛ فإنه يعدل إلى التيمم.

فعندنا تيسيران: تيسير أصلي، وتيسير عارض طارئ، ولهذا قال شيخنا رحمه الله في منظومته:

وكل ما كلفه قد يُسِّرا ... من أصله وعند عارض طرا

(وكل ما كلفه قد يُسِّرا من أصله): هذا التيسير الأصلي.

(وعند عارض): يعني: عندما يعرض ما يوجب التيسير (طرا).

انظر مثلًا صيام رمضان ميسَّر ـ بحمد الله، لكن عندما يطرأ ما يوجب التيسير يحصل التيسير، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[البقرة:١٨٤].

المتن

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: (عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة...)

الشرح

السبيل: بمعنى الطريق، والمراد بالسبيل والسنة: يعني الطريق القويم، والمنهج المستقيم.

عليكم: أي: الزموا.

بالسبيل والسنة:يعني الطريق المستقيم، والمنهج القويم.

المتن

(فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله؛ إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقُها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحاتّ عنها ورقها،إلا تحاتّت عنه ذنوبه كما تحاتّ عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة).

الشرح

وهذا أيضًا يدل على فضل الإسلام.

المتن

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم! كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم؟ ولمثقال ذرة من بِرٍّ مع تقوى ويقين، أعظم وأفضل

وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين).

الشرح

يقول: يا حبذا نوم الأكياس: والأكياس: جمع كَيِّس، وهو الفَطِن النبيه.

يقول: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم!: وذلك لأنه ليست العبرة بكثرة العمل، وإنما العبرة بما وقر في القلب من الإيمان وخشية الله عز وجل، والصحابة رضي الله عنهم ما سبقوا من سبقوا من الأمة بكثرة عمل، وإنما بما وقر في قلوبهم من الإيمان.

وهذا الأثر عن أبي الدرداء يدل على أن العبرة هي بإحسان العمل وإتقانه، وليس بكثرته، ويشهد لهذا قول الله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[هود:٧].

فالمقصود أن هذا الباب يدل فضيلة الدين الإسلامي، وأنه أفضل الأديان، وأنه الدين الذي اختاره الله عز وجل لعباده، وأنه لا يقبل دينًا سواه، كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٨٥]، وإذا كان كذلك؛ فإنه يجب على جميع الأمة الدخول في هذا الدين.

المتن

باب وجوب الدخول في الإسلام

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٩]، وقول الله تعالى:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الآية [الأنعام:١٥٣].

قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات.

الشرح

قال: باب وجوب الدخول في الإسلام: بمعنى أنه يجب على جميع الناس من بعثة

الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة الدخول في الإسلام؛ لأنه ليس هناك دين مرْضيٌّ مقبول عند الله سواه، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾: يعني: يُرِد ﴿غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا﴾: من اليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها، ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾: الدين: يعني المقبول المرضي ﴿عِنْدَ اللهِ﴾عز وجل﴿الإِسْلامُ﴾، والمراد بالإسلام هنا: المعنى الخاص، يعني: الذي بُعث به الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه تقدَّم أن الإسلام له معنيان، فقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ لا يقول مثلًا اليهودي والنصراني: المراد بالإسلام الاستسلام لله في كل شريعة؛ لأنه قد ثبت في الصحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بما جئت به؛ إلا كان من أصحاب النار»، وهذا يدل على أن الدين المقبول المرضي عند الله هو دين الإسلام.

المتن

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الآية [الأنعام:١٥٣].

قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليسمنه فهو رد»أخرجاه، وفي لفظ:«من عمل عملا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد».

الشرح

قوله عليه الصلاة والسلام: «من أحدث» أي: أوجد، وأنشأ، واخترع.

«في أمرنا» أي: في ديننا وشريعتنا.

«ما ليس منه» أي: ما لم يشرعه الله ورسوله.

«فهو رد» أي: مردود.

واللفظ الآخر: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد».

والفرق بين اللفظين«من أحدث»و«من عمل» من أوجه ثلاثة:

- الوجه الأول:

– أن قوله: «من عمل» يدل على أن كل من عمل عملًا ليس عليه أمر في الشرع؛ فهو رد، سواء أحدثه بنفسه، أم قلَّد به غيره،«من عمل» يشمل من عمل العمل المخالف للشرع؛ قلَّد فيه غيره، أم أحدثه بنفسه.

– وأما قوله: «من أحدث» فظاهره أنه خاص بالمحدِث دون المقلِّد.

- الوجه الثاني:

–أن قوله: «من عمل» خاص بالأعمال.

– وقوله: «من أحدث» عام في الأعمال والاعتقادات.

- الوجه الثالث:

–أن قوله: «من عمل» يقتضي رد كل عمل لم يوجد عليه أمر الشرع من غير توقف.

–وأما قوله: «من أحدث» فلا يقتضي ذلك، بل نتوقف حتى ننظر هل هذا العمل مخالف للشرع أو أنه موافق؟

هذه ثلاثة أوجه من الفرق بين قوله: «من أحدث»، وقوله: «من عمل».

المتن

وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قيل: ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

الشرح

يقول: «كل أمتي»: المراد بالأمة هنا: أمة الإجابة؛ لأن الأمة المضافة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام نوعان:

- أمة دعوة: وهم كل من وُجِّه إليهم الدعوة منذ بُعث الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة؛ وعلى هذا فاليهود والنصارى وغيرهم من أمة الدعوة.
- أمة إجابة: وهم الذين استجابوا لله وللرسول عليه الصلاة والسلام.

قال: «كل أمتي يدخلون الجنة»: لأن كل مسلم يدخل الجنة«إلا من أبى». قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».«من أطاعني»: وطاعة الرسول من طاعة الله؛ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[النساء:٨٠]، ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[المائدة:٩٢]، وهذا يدل على وجوب الدخول في الإسلام؛ لقوله: «من أطاعني»؛ لأنه رتب على عدم الدخول العصيان، وهو دخول النار.

المتن

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَّلِب دم امرئ مسلم بغير حق لِيُهريق دمه»رواه البخاري.

الشرح

قوله:«ملحد في الحرم»: من الإلحاد، والإلحاد بمعنى: الميل؛ يعني: أن يميل عن شريعة الله.

قوله: «ومبتغٍ»: أي: طالب«في الإسلام سنة الجاهلية»: ولفظ الجاهلية يطلَق في الكتاب والسنة ويراد به: الحال، أو صاحب الحال.

فمن الأول -وهو أن تطلَق الجاهلية ويراد بها الحال، وهو عدم العلم، والجهل-:

- قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه لما عيرت رجلًا: «يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية».
- قول النبي عليه الصلاة والسلام أيضًا: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية».
- قول الله عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[المائدة:٥٠]، فالمراد بالجاهلية هنا: الحال، وهي عدم العلم.

ومن الإطلاق الثاني -وهو أن تطلَق الجاهلية ويراد بها صاحب الحال-:

- كما يقال: شاعر جاهلي؛ نسبةً إلى الجهل الذي هو عدم العلم.
- قول النبي عليه الصلاة والسلام يعني صاحب الحال: «فإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث ولا يجهل».

الجاهلية أيضًا تنقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: الجاهلية المطلقة الكاملة من جميع الوجوه: جاهلية المكان، وجاهلية الزمان، وجاهلية الأشخاص، وجاهلية الأوصاف والأفعال.

وهذا القسم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان الناس في جاهلية، فكان ما هم عليه من أقوال وأفعال واعتقادات منسوبة إلى الجهل؛ لأنها إنما أُحدثت من جاهل، وإنما يفعلها الجاهل، ما كان عليه أهل الجاهلية من الأعمال والأفعال والاعتقادات نقول: أحدثها جاهل، ولا يفعلها إلا جاهل.

- القسم الثاني: الجاهلية المقيدة بوجه من الوجوه: إما باعتبار الزمان أو باعتبار المكان، أو باعتبار الأشخاص، أو باعتبار الأوصاف والأفعال، فهاهنا أربع صور:
  - الصورة الأولى: الجاهلية المقيدة في الزمان، وهي تكون مطلقة في هذه الحال، وهي ما كانت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وتكون مقيدة بزمن، بحيث تظهر بعض أوصاف الجاهلية.
  - الصورةالثانية: جاهلية مقيدة في المكان، وهذه قد تكون مطلقة، كالتي في بلاد الكفار، أو في بعض بلاد الكفار ودار الحرب، وقد تكون جاهلية مقيدة، ففي بعض بلاد الإسلام الآن جاهلية، إذًا الجاهلية في المكان قد تكون مطلقة، وقد تكون مقيدة.
  - الصورة الثالثة: الجاهلية في الأشخاص، وهذه قد تكون مطلقة كما في الكافر، فالكافر جاهل؛ لأنه لم يعرف قدر الله عز وجل،

وقد تكون مقيدة في شخص دون آخر، بحيث يتصف الإنسان بوصف من أوصاف الجاهلية، كما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية».

- والصورة الرابعة: الجاهلية في الأوصاف والأفعال، وهذه كالتي قبلها، يعني: قد يكون إنسان متصفًا بصفة من صفات أهل الجاهلية.

الخلاصة الآن: أن الجاهلية في الأصل: جاهلية مطلقة، وجاهلية مقيدة.

- الجاهلية المطلقة: هي الجاهلية في الأقوال والأفعال، وهذه هي التي كانت قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام.
- الجاهليةالمقيدة بوجه من الوجوه: إما في مكان، أو زمان، أو أشخاص، أو أفعال، وذكرنا أن لها أربع صور.

وكل هذه الأقسام من أقسام الجاهلية مبناها على ما ثبت في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية».

المتن

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: قوله:«سنة الجاهلية»يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي: في شخص دون شخص، كتابية، أو وثنية، أو غيرهما، من كل مخالفة لما جاء به المرسلون.

وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال: (يا معشر القراء استقيموا، فإن استقمتم؛ فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا؛ فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا).

الشرح

يقول:وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال: (يا معشر القراء): هنا يخاطب القراء للقرآن وللسنة.

يقول: (استقيموا): يعني: على دين الله عز وجل، وذلك بلزوم الصراط المستقيم والمنهج القويم.

قال:(فإن استقمتم؛ فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا؛ فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا): وذلك لأن ضلال العالم ليس كضلال غيره، وهذا دليل أيضًا على وجوب التمسك بالدين الإسلامي، وأن التمسك به سبب للخير والهدى والصلاح، وأن مخالفته سبب للضلال.

المتن

وروى محمد بن وضاح عن حذيفةأنه كان يدخل المسجد، فيقف على الحلق، فيقول...فذكره.

الشرح

(على الحلق): وهذا يدل على أن المراد بقوله: (يا معشر القراء) ليس القراء للقرآن، وإنما القراء يعني قراء العلم، فهو شامل لمن يقرأ القرآن ومن يقرأ السنة.

المتن

وقال: أنبأنا سفيان بن عيينة، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، قال عبد الله- يعني ابن مسعود رضي الله عنه-:(ليس عام إلا والذي بعد أشر منه، لا أقول:أمطر من

عام،ولا عام أخصب من عام،ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم؛ فيهدم الإسلام ويثلم).

الشرح

وهذا جاء معناه في الأحاديث الصحيحة أنه ليس زمان إلا وما بعده شر منه؛ وذلك لأن الزمن كلما بعد عن أصل النبوة؛ كثرت الفتن، والاختلاف، والافتراق، فكل زمان فما بعده يكون شرًّا منه، وهذا على سبيل العموم، فلا ينافي ذلك أن يكون بعض الأزمنة خيرًا مما كان قبله، قد يوجد زمان مقيد يكون خيرًا مما قبله، لكن العبرة بالغالب الأعم، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

المتن

باب تفسير الإسلام

وقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾[آل عمران:٢٠] الآية.

وفي الصحيح عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا».

الشرح

يقول: باب تفسير الإسلام: يعني: بالمعنى الخاص؛ لأن الإسلام تقدم أن له معنيين: عام وخاص.

وتفسير الإسلام بالمعنى الخاص: هو الاستسلام لله عز وجل بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، كما قال الشيخ رحمه الله، وهذا معنى (لا إله إلا الله)، ولهذا قال: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: يعني: جادلوك ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾.

وفي الصحيح عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»: ففسر عليه الصلاة والسلام الإسلام بالأعمال والشرائع الظاهرة، وهذا فيما إذا قُرِن الإسلام بالإيمان.

المتن

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

الشرح

يقول: «المسلم»: يعني: المسلم حقًّا.

«من سلم المسلمون»وغير المسلمين، لكن سلامة المسلمين من باب أولى.

سلموا «من لسانه»: وذلك بالتكلم في أعراضهم بغيبة، أو نميمة، أو سب، أو شتم.

«ويده»: بالعدوان، فالمسلم حقًّا من سلم المسلمون من لسانه؛ بحيث يمسك لسانه عن الكلام في أعراض المسلمين من: غيبة، ونميمة، وسب، وشتم؛ لأن أعراض المسلمين محرمة، «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام».

«ويده»: يعني: سلموا من يده بالاعتداء عليهم بضرب، أو أخذ مال، أو نحو ذلك.

المتن

وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام،فقال: «أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة»رواه أحمد.

الشرح

يقول: وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام: يعني: ما حقيقته؟ وما ماهيته؟

فقال: «أن تسلم قلبك لله»: وهذا إسلام الباطن.

«وأن تولي وجهك إلى الله»: وهذا إسلام الظاهر.

فالإسلام يشمل الإقبال على الله عز وجل بالظاهر والباطن، بحيث يقبل على الله بقلبه وقالبه، ولهذا قال: «أن تسلم قلبك لله»: وهذا استسلام الباطن، «وأن تولي وجهك إلى الله».

وإسلام القلب إلى الله هو حقيقة الإيمان، وتولي وجهه إلى الله بالأعمال هذا هو الإسلام، إذا اجتمع الإسلام والإيمان؛ فإن الإيمان يفسَّر بأنه ما يتعلق بالاعتقاد بالقلب، والإسلام يفسَّر بالأعمال الظاهرة.

قال: «وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة».

المتن

وعن أبي قلابة، عن رجل من أهل الشام، عن أبيه، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم:ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان». قال: وما الإيمان؟ قال:«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت».

الشرح

«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت»: بقي أمر، بقي والإيمان بالقدر.

يدل هذا الحديث والذي قبله على أن الإيمان يفسَّر بالأعمال الباطنة، وهي ما يتعلق بالاعتقاد، والإسلام يفسَّر بالأعمال الظاهرة، وهذا فيما إذا اجتمع الإسلام والإيمان، فإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

المتن

باب قول الله تعالى:﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة فتقول: يا رب، أنا الصلاة. فيقول: إنك على خير. ثم تجيء الصدقة فتقول: يا رب، أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الصيام فيقول: يا رب، أنا الصيام. فيقول: إنك على خير. ثم تجيء الأعمال على ذلك، فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب،أنت السلام وأنا الإسلام. فيقول: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أُعطي. قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥]» رواه أحمد.

الشرح

يقول:باب قول الله تعالى:﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾: أي: يطلب﴿غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا﴾:يدين الله عز وجل به؛﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾:ونفي القبول هنا لوجود مانع، وهو الكفر؛ لأن نفي القبول تارةً يكون نفيًا للصحة، وتارةً يكون نفيًا للثواب، فإذا كان نفي القبول لفقد شرط أو وجود مانع؛ فهو نفي للصحة، وإن كان لغير ذلك؛ فهو نفي للثواب.

نفي القبول إذا ورد في النصوص الشرعية؛ فله معنيان:

- المعنى الأول: أن يكون المراد بنفي القبول نفي الصحة؛ يعني أن هذا العمل لا يصح.

وضابط ذلك: أن يكون النفي للقبول بسبب فقد شرط أو وجود مانع، فإذا كان نفي القبول لفقد شرط أو وجود مانع؛ فالنفي هنا للصحة.

  - قال الله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ﴾[التوبة:٥٤]؛ فنفي القبول هنا لوجود مانع.
  - وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»: نفي القبول هنا نفي للصحة؛ لأنه فقد شرط.
  - «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار»:نفي القبول هنا نفي للصحة لفقد شرط.

- الثاني: أن يكون المراد بنفي القبول نفي الثواب، وذلك فيما إذا كان العمل مستكملًا لشروطه، منتفيةً موانعه، لكن هناك أمر خارجي، فيكون حينئذ المراد بنفي القبول نفي الثواب.

ومن أمثلة ذلك:

  - قول النبي عليه الصلاة والسلام: «من شرب الخمر؛ لم تُقبَل له صلاة أربعين يومًا أو أربعين ليلة».
  - وقال: «من أتى كاهنًا أو عرافًا؛ لم تُقبَل له صلاة أربعين يومًا».

فنفي القبول هنا ليس المراد نفي الصحة، وإنما المراد نفي الثواب، ولذلك لم يقل أحد من أهل العلم: إنه يجب على شارب الخمر أن يعيد صلاة أربعين يومًا، صلاته صحيحة، لكن ليس فيها ثواب.

المهم أن هذا الحديث -حديث أبي هريرة- قال فيه: «تجيء الأعمال يوم القيامة»: هل المراد: تجيء الأعمال نفسها؟ أو يجيء ثوابها؟ قال بعض العلماء: المراد: يجيء ثوابها، لكن لا مانع أن يكون المراد أن الأعمال نفسها تجيء، وأحوال القيامة لا تقاس بأحوال الدنيا.

وهذا الباب يدل على أن كل من تديَّن بدين غير دين الإسلام فإنه لن يُقبَل منه؛ لأن دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وكما تقدم في حديث أبي هريرة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بما جئت به؛ إلا كان من أصحاب النار»، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "من اعتقد أن ما عليه اليهود والنصارى اليوم أنه دين مقبول مرضي عند الله؛ فهو كافر"، لماذا؟ "لأنه مكذِّب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين"؛ فالذي يعتقد أن ما عليه اليهود والنصارى أنه دين مقبول مرضي، وأن هذا الاختلاف مع الدين الإسلامي كاختلاف المذاهب: الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، يعني: اليهودية والنصرانية كأنهم مالكية وشافعية، يقول: "هذا كافر؛ لأنه مكذِّب لله"؛ الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، فكيف يقول الله: ﴿لَنْ يُقْبَلَ﴾، وأنت تضاد أمر الله عز وجل وتقول: إنه سيُقبَل؟

وأيضًا «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»، وعمل اليهود والنصارى وسائر الأديان ليس عليه أمر الله ورسوله؛ فيكون مردودًا.

المتن

قال: باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه

وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل:٨٩] الآية.

روى النسائي وغيره: (عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقةً من التوراة، فقال: «أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لو كان موسى حيًا واتبعتموه وتركتموني، ضللتم»، وفي رواية: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي». فقال عمر: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا).

الشرح

يقول:باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب والسنة عن كل ما سواه،وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل:٨٩].

﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، المراد "بالكتاب" هنا: (القرآن) لأن (ال) في الكتاب للعهد الذهني، يعني الكتاب المعهود وهو القرآن.

﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: يعني فيه بيان كل شيء، فكل ما تحتاجه الأمة فقد بيَّنه الله عزَّ وجلّ في هذا الكتاب إما تصريحًا،أو إيماءً، أو إشارة.

ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله في الرسالة، يقول: (فليست تنزل بأحدٍ من هذه الأمة نازلة، إلَّا وفي كتاب الله عز وجلّ المخرج منها). لا يوجد نازلة تنزل بهذه الأمة إلَّا ويجد في كتاب الله عزّ وجلّ المخرج، هذا المخرج قد يكون نصًا صريحًا، وقد يكون ظاهرًا، وقد يكون إشارةً، وقد يكون إيماءً.

إذًا نقول: القرآن تبيانٌ لكل شيء، وهذا التبيان قد يكون تبيانًا ظاهرًا صريحًا، وقد يكون تبيانًا غير ظاهر وذلك بالإشارة، والإيماء، والتنبيه، وما أشبه ذلك.

ثم قال: (روى النسائي وغيره: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقةً من التوراة، فقال: «أمتهوكون يا ابن الخطاب؟»، (والتهوك): بمعنى التحير؛يعني أأنت في شكٍ وفي تحير؟

«لقد جئتكم بها بيضاء نقية. ولو كان موسى حيًا واتبعتموه وتركتموني، ضللتم»وهذا أيضًا يدل على وجوب الدخول في الإسلام، وأن كل دينٍ سوى الإسلام فإنه يجب الاستغناء عنه.

(وفي روايةٍ: «لو كان موسى حيًا ما وسِعه إلا اتباعي». فقال عمر: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا)؛لما رأى من غضب الرسول عليه الصلاة والسلام.

المتن

قال: باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام

وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[الحج:٧٨].

عن الحارث الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد والهجرة، والجماعة. فإنه من فارق الجماعة قيد شبرٍ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلَّا أن يراجع. ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم». فقال رجلٌ يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ قال: «وإن

صلى وصام. فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله» رواه أحمد والترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

وفي الصحيح: «من فارق الجماعة قيد شبرٍ فمات، فميتته جاهلية»، وفيه: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» قال أبو العباس:(كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسبٍ أو بلدٍ أو جنسٍ أو مذهبٍ أو طريقةٍ فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجريٌ وأنصاريٌ، فقال المهاجري: يا للمهاجرين! وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال صلى الله عليه وسلم: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» وغضب لذلك غضبًا شديدًا) انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

الشرح

يقول: (باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام)، وقول الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[الحج:٧٨].

ثم ذكر الحديث: حديث (الحارث الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «آمركم بخمس الله أمرني بهن»،وهذا دليل على أن النبي عليه الصلاة والسلام يؤمر وينهى.

الأول:قال: «السمع، والطاعة»؛يعني لمن ولَّاه الله عزَّ وجلّ عليكم، وهذا في كتاب الله، قال الله عزَّ وجلّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩].

والسمع والطاعة لولاة الأمر إنما تكون بالمعروف؛لأن ما يأمر به ولي الأمر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

• القسم الأول: أن يأمر بما أمر الله به ورسول صلى الله عليه وسلم، فتجب طاعته.

أولًا: طاعةً لله ورسوله.

وثانيًا: طاعةً لولي الأمر.

فإذا أمر ولي الأمر بالصلاة فتجب طاعته؛ لأن الله أمر بها؛ ولأن ولي الأمر أمر بها.

• القسم الثاني: أن يأمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إنما الطاعة بالمعروف». «ولا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق».

• والقسم الثالث: أن يأمر بأمرٍ لم يرد في الكتاب والسنة الأمر به أو النهي عنه؛ يعني مما سُكت عنه وكان في أمره به مصلحة، كالأنظمة التي يسنها ولي الأمر مثل: أنظمة المرور وغيرها فتجب طاعته؛ لعموم قول الله عزَّ وجلّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩]، ولو لم تجب طاعته في هذه الحال، لم يكن للأمر بطاعة ولي الأمر فائدة.

الثاني: يقول: «السمع، والطاعة، والجهاد»، يأمر بالجهاد: وهو بذل الجهد والطاقة؛ لتكون كلمة الله هي العليا.

وهو بهذا يشمل نوعين من أنواع الجهاد:

• الجهاد بالعلم.

- والجهاد بالسيف.

وإن شئت فقل: (الجهاد بالسيف والسنان، والجهاد بالعلم والبيان)، فالجهاد نوعان: قد يكون جهادًا بالسيف والسنان، وقد يكون جهادًا بالعلم والبيان. قال الله عزَّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾[التوبة:٧٣]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[التحريم:٩]، فالكفار يُجاهدون بالسلاح، والمنافقون يُجاهدون بالعلم.

الثالث:يقول: «والهجرة».

الهجرة: لها معنًى عام ومعنًى خاص،فالمعنى العام للهجرة:الانتقال من البلد الذي يُعصى فيه الله إلى البلد الذي يُطاع فيه، وأما المعنى الخاص:فهو الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

إذًا الهجرة نوعان:

هجرةٌ عامة: وهي الانتقال من البلد الذي يُعصى فيه الله، حتى ولو كان منسوبًا إلى المسلمين إلى بلدٍ يُطاع فيه.

والمعنى الخاص: الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

ثم إن الهجرة بالمعنى العام على أقسامٍ ثلاثة:

- هجرة مكان.
- وهجرة عمل.
- وهجرة عامل.

القسم الأول: "فهجرة المكان "أن ينتقل من البلد أو المكان الذي فيه معصيةٌ لله إلى مكانٍ يطاع فيه الله. قال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[النساء:١٠٠].

والقسم الثاني: "هجرة عمل" بأن يهجر العمل الذي نهى عنه الله ورسوله، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

والقسم الثالث: "هجرة عامل "بحيث يهجر العامل الذي يعصي الله، دليلها:«لايحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»وهجرة العامل فيها تفصيل.

إذًا الخلاصة الآن:أن الهجرة لها معنيان من حيث الأصل، وهي بالمعنى العام تكون هجرة مكان، وهجرة عمل، وهجرة عامل.

الرابع:يقول:«والهجرة، والجماعة»؛يعني ولزوم جماعة المسلمين.

«فإنه من فارق الجماعة قيد شبرٍ؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلَّا أن يراجع»؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يحلُّ دم امرئٍ مسلمٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، إلَّا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

قال: «ومن دعا بدعوى الجاهلية» سواءٌ كان ذلك فيما يتعلق بالعقيدة، أو العمل، أو أي دعوة من دعاوى الجاهلية فإنها تدخل في ذلك، ومن ذلك الدعاء بالويل والثبور عند المصيبة؛ فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال:«ليس منا من ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

(فقال رجلٌ يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صلى وصام. فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»)وهذا يدل على أن الأعمال الظاهرة إنما تكون مقبولةً عند انتفاء الموانع، فإذا وجد موانع تمنع من قبولها ونفوذها، فإنها لا تصح.

وكذلك أيضًا في الصحيح قال: «من فارق الجماعة قيد شبرٍ فمات، فميتته جاهلية»، وفيه: «أفبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» وهذا أيضًا فيما سبق من وجوب لزوم الجماعة.

المتن

قال: باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه

وقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[البقرة:٢٠٨]. وقوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[النساء:٦٠] الآية. وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٥٩] الآية.

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (في قوله:﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ﴾[آلعمران:١٠٦]، قال:تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف).

وعن عبد الله بن عمروٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على أمتي ما أتى...».

الشرح

يقول: باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه،هذا توكيدٌ لما تقدم في الباب الذي قبله، أو في الأبواب التي قبله من وجوب الدخول في الدين الإسلامي وترك ما سواه من الأديان.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[البقرة:٢٠٨].

- ﴿فِي السِّلْمِ﴾:يعني في الإسلام.
- ﴿كَافَّةً﴾: يعني جميعًا.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[النساء:٦٠].

- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:يعني ألم تنظر.
- ﴿إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾،والزعم في الغالب يُطلق على الكلام الكاذب، أو الدعوة التي ليس عليها بيّنةٌ وبرهان.

﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾،والذي أُنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الكتاب والحكمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[النساء:١١٣].

﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[النساء:٦٠]؛ يعني: من الشرائع السابقة والكتب السابقة.﴿مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني:من الكتب السابقة.

المؤلف يقول: الآية يعني أكمل الآية :قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾[النساء:٦٠]، والمراد بـ(الطاغوت) هنا: كل حكمٍ خلف شرع الله؛ لأن الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾[النساء:٦٠]: يعني أمرهم الله عزَّ وجل في القرآن، وفي الكتب السابقة بالكفر به، بل بدأ الله عزَّ وجل بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان، فقال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾[البقرة:٢٥٦].

﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا﴾[النساء:٦٠] بحيث يُزين لهم الحكم أو التحاكم إلى غير شرع الله

قال: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾أي أحزابًا شتى، ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٥٩]،وهذا أيضًا يدل على وجوب الدخول في الإسلام،وترك ما سواه؛ لأن ما سواه من الشيع؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾،فالدخول في غير الإسلام تفريقٌ للدين، وتشتيتٌ لهذه الأمة.

ثم ذكر الحديث،قال رحمه الله: قال ابن عباسٍ في قوله عزَّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٦].

قال:(تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف)،وهذا تفسيرٌ للآية بالمثال، وإلَّا فإن الآية أعم من ذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٦] ليس المراد يعني خصوص أهل السنة،وإنما المراد: وجوه المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها.

﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٦] يعني وجوه الكافرين والمخالفين من هذه الأمة ومن غيرها.

والتفسير قد يكون تفسيرًا بالمعنى، وقد يكون تفسيرًا بالمثال، وإن شئت فقل: قد يكون تفسيرًا للشيء باللفظ، وقد يكون تفسيرًا للشيء بالمعنى، وقد يكون تفسيرًا للشيء بالمثال.

فمثلًا: إذا قلت: (أهل الكتاب):

- التفسير اللفظي: أن أقول: أصحاب الكتاب.
- والتفسير بالمعنى: أن أقول اليهود والنصارى.
- وقد يكون التفسير بالمثال: بمعنى أن ما ذكر على سبيل التبكيل لا على سبيل التعين والتخصيص، ومنه ما جاء في الآية الكريمة في قوله عزَّ وجل: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[فاطر:٣٢].

من العلماء، أو من السلف من فسّر: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: وذلك بترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها.﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾، مقتصد على فرائض، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ﴾ يعني يفعل السنن. وبعضهم مثَّل بالزكاة، وبعضهم مثَّل بغيرها. هذه الأمثلة هي ليست تفسيرًا بالمراد، وإنما هي تفسيرًا بالمثال.

المتن

قال: عن عبد الله بن عمروٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانيةً كان في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملَّة، وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين مِلَّة، كلهم في النار إلَّا ملّةً واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال:«ما أنا عليه وأصحابي».

وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق المصدوق في هذا المقام، خصوصًا قوله: «ما أنا عليه وأصحابي». يا لها من موعظةٍ لو وافقت من القلوب حياةً!

الشرح

يقول: وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل»،وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «اليهود والنصارى».

«حتى إن كان منهم»، (من) هنا مخففة من الثقيلة.

قوله: «وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملَّة -يعني فرقة-، وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين مِلَّة، كلهم في النار إلَّا ملّةً واحدة».

وفي الحديث الآخر: «افترقت بنو إسرائيل على سبعٍ وثلاثين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلَّا واحدة، قال: من هم يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»وهذا يدل على وجوب لزوم السنة، سنة النبي عليه الصلاة والسلام،وطريق السلف مما كان عليه الصحابة، وما كان عليه التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين. وأن كل منهجٍ أو طريقٍ يُخالف ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه أصحابه فالواجب نبذه وطرحه، وموعظة من يسلك هذا المنهج.

قال: فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق المصدوق في هذا المقام، خصوصًا في قوله: «ما أنا عليه وأصحابي»،وهذا يدل على وجوب الدخول في الإسلام، وترك ما سواه من الأديان؛ لأنه إذا كان ما عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه لزم من ذلك أن يدخل في الإسلام.

المتن

قال: ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار، وهو في حديث معاوية (عند) أحمد وأبي داود وفيه: «أنه سيخرج من أمتي قومٌ تتجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، فلا يبقى منه عرقٌ ولا مفصلٌ إلَّا دخله» وتقدم قوله: «مبتغٍ في الإسلام سنة جاهلية».

الشرح

يقول عليه الصلاة والسلام: «إنه سيخرج في أمتي قومٌ تتجارى بهم تلك الأهواءُ...» إلى آخره،وهذا قد حصل في هذه الأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وكان بدؤه في خلافة عثمان رضي الله عنه، حينما حصل الاختلاف عليه ثم حصل التفرق والتشتت بالأمة، تفرقٌ فيما يتعلق بالاعتقاد، وتفرقٌ فيما يتعلق بالمنهج.

والمخرج من ذلك والمنجى: هو ما تقدم من لزوم الصراط المستقيم والمنهج القويم، وهو ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه، وأن كل مسلكٍ سوى ذلك فهو من الضلال الذي حذر النبي عليه الصلاة والسلام منه، وهو من ابتغاء سنة الجاهلية بالإسلام. كل من سلك، أو ابتغى، أو دعا إلى طريقٍ غير ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بالدين والاعتقاد، فقد ابتغى في الإسلام سنة الجاهلية.

وقولنا:(في الدين والاعتقاد) احترازًا مما لو دعا إلى ما ليس يتعلق بدين أو اعتقاد من الأمور التي تتعلق بأمور الدنيا،فهذا لا يوصف بما تقدم.

المتن

قال: باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر

وقولـه عـزَّ وجـل:﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَـكَ بِـهِ وَيَغْفِـرُ مَـا دُونَ ذَلِـكَ لِمَـنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام:١٤٤].وقولـه تعـالى:﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُـمْ كَامِلَـةً يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَمِـنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل:٢٥].

وفي الصـحيح أنـه صـلى الله عليـه وسـلم قـال في الخـوارج: «أينـما لقيتمـوهم فاقتلوهم.لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلًا تصدق بصدقةٍ ثم تتابع الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سنّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ» رواه مسلم.

الشرح

يقول المؤلف رحمه الله:باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر؛يعني البدع أشد من المعاصي.

و(البدعة) في الأصل: هي الشيء المخترع المحدث.

وأما شرعًا فـ (البدعة):كل قولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد يتقرب به الإنسان إلى ربه، وليس له أصلٌ من الشرع. هذا ضابط البدعة الذي لا ينخرم.

وقولنا: (يتقرب) احترازًا مما لا يقصد به القربة بذاته كالوسائل، يعني لو قائل مثلًا: هذه الخطوط التي توجد الآن على الفروش، هذه من البدع لم تكن موجودةً في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وكل محدثٍ بدعة.فيقال: الناس لا يتعبدون لله عزَّ وجل بوضعها، وإنما هي وسيلة إلى أمرٍ مقصود؛ ولذا قلنا: (يتقرب الإنسان به إلى ربه)؛ يعني: بذاته،فهذا القول أو العمل أو الاعتقاد إذا كنت ستتقرب به إلى الله فهو بدعة.

والبدع قد ورد النهي عنها كما ذكر المؤلف رحمه الله في الأحاديث،

والبدع يترتب عليها مفاسد عظيمة.

فمن مفاسد البدع أو من المحاذير المترتبة على البدعة:

أولًا: أن البدعة تتضمن، أو أن فاعل البدعة فعله يتضمن تكذيب ما دلَّ عليه قول الله عزَّ وجل:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:٣]. فمقتضى.هذه البدعة أن الدين لم يكمل على مقتضى بدعته.

إذًا هذا المحذور الأول أو المفسدة الأولى من مفاسد البدع: أن فعله يتضمن تكذيب ما دلَّ عليه قول الله عزَّ وجلّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[المائدة:٣]؛ فمقتضاه أن الدين لم يكمل.

ثانيًا من المحاذير والمفاسد في البدع:أن ابتداعه يتضمن التقدم بين يد الله وسوله، حيث أدخل في دين الله ما ليس منه،وتعدَّى حدود الله عزَّ وجل، وقد قال الله عزَّ وجل: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٢٩].

الأمر الثالث من المحاذير والمفاسد: أن ابتداعه يستلزم جعل نفسه شريكًا مع الله عزَّ وجل في الحكم بين عباده، كما قال عزَّ وجلّ:﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى:٢١].

الرابع من مفاسد البدع: أن ابتداعه يستلزم واحدًا من أمرين،وهما:إما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم جاهلًا بكون هذا العمل من الدين،وإما أن يكون عالمًا فكتمه، وكلاهما قدحٌ في الرسول صلى الله عليه وسلم.

- أما الأول: وهو أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم جاهلًا، فقد رمى النبي عليه الصلاة والسلام بالجهل بأحكام الشرعية.
- وأما الثاني: وهو أن يكون عالمًا لكن لم يُبلّغ، فقد رماه بالكتمان فيما يعلمه من دين الله، وهذا في الحقيقة من أعظم المفاسد المترتبة على البدع.

المبتدع يقال له: الرسول عليه الصلاة والسلام هل يعلم هذه البدعة أم لا؟ إن كان النبي عليه الصلاة والسلام يعلم أن هذه البدعة من الشرع ولم يبلغ، فقد كتم الحق، وإن كان لا يعلم أنت الذي تعلم، فقد رميت النبي عليه الصلاة والسلام بالجهل.

الأمر الخامس من المفاسد والمحاذير: أن ابتداعه يتضمن التطاول على شريعة الله عزَّ وجلّ،وأن يدخل في الشريعة ما ليس منها في العقيدة والقول والعمل،وهذا من أعظم العدوان على الله عزَّ وجل وعلى شرعه.

الأمر السادس أيضًا:أن ابتداعه يؤدي إلى تفرق الأمة وتشتتها، وأن تتخذ كل طائفةٍ منهجًا ومسلكًا بحيث تسلكه وتتهم غيرها بالقصور أو التقصير؛ وحينئذٍ تقع الأمة فيما نهى الله عزَّ وجل عنه في قوله:﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ

الْبَيِّنَاتُ ﴾[آل عمران:١٠٥]،وتقع أيضًا فيما حذر الله عزَّ وجل منه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾[الأنعام:١٥٩].

الأمر السابع: أن ابتداعه يؤدي إلى انشغاله ببدعته عما هو مشروع، فإنه ما ابتدع قومٌ بدعةٌ إلا هدموا من الشرع ما يقابلها. وهذا مشاهد:(ما ابتدع قومٌ بدعة إلَّا هدموا من الشرع ما يقابلها).

هذه بعض المفاسد والمحاذير المتعلقة بالبدع؛ ولهذا قال المؤلف رحمه الله:باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨].

ثم قال: وقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام:١٤٤]،والمبتدع قد افترى على الله كذبًا؛ حيث نسب إلى شرعه ما ليس منه.

وقوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل:٢٥]،والمبتدع سيحمل أوزار كل من عمل ببدعته.

ثم ذكر الحديث، قال المؤلف: (وفي الصحيح أنه قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم.لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه: أن رجلًا تصدق بصدقةٍ ثم تتابع الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سنّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها»،وهذا الحديث (حديث جرير بن عبد الله) قد يحتج به من يستحسن البدع، فبعض الناس ربما

يستحسن بدعةٌ ويسنها، ويقول: هذه داخلة في قول النبي عليه الصلاة والسلام: «من سنّ في الإسلام سنةً حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».

والجواب عن هذا الحديث:

أن المراد بقول عليه الصلاة والسلام: «من سنّ»، أن المراد بـ(السنّ) في الحديث،أن المراد به واحدًا من أمورٍ ثلاثة:

الأمر الأول: ابتداء العمل بالسنة، «من سنّ في الإسلام»؛ أي: ابتدأ العمل بالسنة، ويدل لذلك سبب الحديث، وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام حث أصحابه على الصدقة، على القوم الذين جاؤوا من (مُضر)، فجاء رجلٌ بسرةٍ من فضة قد أثقلت يده، فوضعها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «من سنّ في الإسلام سنةً حسنة».

فهذا الرجل سنّ سنةً حسنة إبتدأ عمل لا إبتداء شرع وعلى هذا فقوله عليه الصلاة والسلام : «من سنّ في الإسلام سنةً حسنة»؛أي: ابتدأ العمل بسنة.

المعنى الثاني من معاني الحديث: «من سنّ في الإسلام سنةً حسنة»؛أي: عمل بسنةٍ تركت واندثرت فأحياها،فهذا يقال:(إنه سنها)؛ أي أحياها وإن لم يشرعها من عنده، فلو فرض أن هناك سنةً أو سننًا قد اندثرت عند الناس، فهذا الرجل طالب العلم أو العالم صار يُحيي هذه السنن، وينشرها، ويبثها، وبينها للناس حتى عملوا بها يقال: «من سنّ في الإسلام سنةً حسنة».

المعنى الثالث من معاني «من سنّ في الإسلام سنةً حسنة»: أن المراد: من فعل وسيلةً يتوصل بها إلى العبادة واقتدى الناس به، كجمع الصحابة رضي الله عنهم

المصاحف على مصحفٍ واحد، كذلك أيضًا بناء المدارس، وطبع الكتب، تبويب العلم فهذا لا يتعبد لله عزَّ وجل به، وإنما هو وسيلةٌ من الوسائل.

لو قال قائل: (قد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من سنّ في الإسلام سنةٌ حسنة»، وهذه البدعة من السنة الحسنة، فهذا الحديث: «من سنّ في الإسلام سنةٌ حسنة» يدل على مشروعية، فما الجواب عنه؟

نقول الجواب عن هذا الحديث من وجوه ثلاثة:

- الوجه الأول: المراد بـ «سنّ» أي ابتدأ العمل بسنة مشروعة، ويدل عليه سبب الحديث وهو عن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قدم عليه قوم من مضر. حث على الصدقة عليهم، فجاء رجل بصُرّة من دراهم فوضعها بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، ثم تتابع الناس في الصدقة.
- الوجه الثاني: أحيا سنة مهجورة هي سنة اندثرت وماتت ثم أحياها وأظهرها.
- الوجه الثالث: أن المراد فعل ما يكون وسيلةً.

يقول: «من سنّ في الإسلام سنةٌ حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء»، وفي هذا الحديث: «من سنّ في الإسلام سنةٌ حسنة فله أجرها» دليل على الحث على نشر السنة بين الناس، نشر الخير، وأنك متى نشرت الخير والسنة بين الناس فلك الأجر، بل كل من حث على خير أو دل على خير فله مثل أجر

فاعله؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله» حتى لو كثُر، لا تستكثر فضل الله عز وجل واسع.

نقول: لو أنك دللت رجلًا على موضعٍ في حاجة إلى مسجد فبنى هذا الرجل مسجدًا كلفه نحو مليون ريال؛ فلك مثل أجره، لماذا؟ لأنك أنت الذي دللته على الخير.

إذن كل دلالة عل الخير فلك مثل أجرها؛ فلا تحقرن شيء، وهذا مما يحفز الإنسان حقيقةً على الدعوة إلى الخير، فقال عليه الصلاة والسلام: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» أي خير قليلًا كان أم كثيرًا، وقال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه» فكل هدى تدعو إليه فلك مثل أجره، علمت رجلًا الصلاة كل صلاة يصليها من فرض أو نفل فلك مثل أجره، دعوت رجلًا إلى الإسلام وأسلم، فكل عمل يعمله في الإسلام من قليلٍ أو كثيرٍ، فرض أو نفل، فلك مثل أجره؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النعم».

فهذه الأحاديث وما في معناها ترغيب من النبي عليه الصلاة والسلام وحث على الدلالة على الخير، والدلالة على الهدى؛ لأن الإنسان يحصل على الأجر العظيم، فكل ما يعمله من دللته على الخير من عمل فلك مثله أجره.

كذلك أيضًا لاحظ في المقابل من سنّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، فكل عمل سيء تنشره ويُعمل به فعليك وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة، وهذا فيه تحذير شديد، لا سيما في وقتنا الحاضر ممن ينشر السيء من الأقوال والأفعال والاعتقادات عبر وسائل الإعلام من قنوات فضائية وشبكات مرئية وغيرها، وأن كل عمل سيء كل من شاهده وعمل به أو اعتقده فعليك وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة.

فلذلك يجب الإنسان أن يحذر من نشر الأمور السيئة، انشر خيرًا أو اسكت، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت».

المتن

قال: وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظه: «من دعا إلى هدى – ثم قال – من دعا إلى ضلالة».

الشرح

عرفنا البدعة والتحذير من البدعة، لكن المؤلف رحمه الله في الترجمة يقول: «باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر»، البدعة والمعصية كلاهما أمرٌ منهيٌ عنه، فالبدعة والمعصية يشتركان ويفترقان، المؤلف رحمه الله يقول إن البدعة أشد من الكبائر مع أن البدعة معصية، لكن ما الفرق بين البدعة والمعصية؟

فيُقال البدعة والمعصية يشتركان ويفترقان، يشتركان في أمور:

- أولًا: أن كل منهما: منهيٌ عنه ومذمومٌ شرعًا، وأن الاثم يلحق فاعلها، ففاعل البدعة آثم، وفاعل المعصية آثم، ومن هذا فالبدع داخلة في جملة المعاصي على هذا المعنى، فكل بدعة معصية، وليست كل معصيةٍ بدعة، إذن هذا الأمر الأول مما تشترك فيه البدعة والمعصية، يشتركان في أن كلًا منهما منهيٌ

عنه، مذمومٌ شرعًا يأثم فاعله، فالبدعة داخلة تحت المعصية، فكل بدعةٍ معصية، وليست كل معصية ، بدعة.

- ثانيًا: أيضًا مما يشتركان فيه: أن كلًا منهما متفاوت، وليسا على درجةٍ واحدة فالمعاصي تتفاوت، منها ما يصل إلى الكفر، ومنها ما يكون من الكبائر، ومنها ما يكون من الصغائر، كذلك أيضًا البدع، منها ما يكون مكفرًا ومنها ما ليس بمكفر، فهذا أيضًا مما يشتركان فيه، وهو التفاوت، المعصية صغائر، كبائر، قد تصل إلى الكفر والفسوق، وكذلك أيضًا البدع.
- ثالثًا: مما يشتركان فيه: ، أن كلًا من البدعة والمعصية مناقضٌ لمقاصد الشريعة، ويعود على الدين بالهدم والبطلان، فكلما كثرت البدع والمعاصي وانتشرت ضعفت السنن.

هذه ثلاثة أمور مما يشتركان فيه، ويفترقان في أمور:

- أولًا: أن المعصية مستند النهي فيها غالبًا إلى الأدلة الخاصة، وأما البدعة فمستند النهي فيها غالبًا الأدلة العامة ومقاصد الشريعة، كل بدعةٍ ضلالة، من الفروق بين المعاصي وبين البدع أن مستند النهي في المعصية غالبًا يكون دليلًا خاصًا، نهى عن كذا، أما مستند النهي عن البدع فهي أحاديث عامة، «كل

محدثٍ بدعة»، «من أحدث في أمرنا»، «من عمل عملًا» تحته جميع البدع.

- ثانيًا: مما يفترقان فيه: أن البدعة فيها مضاهاة للمشروع والشرع؛ لأنها تُضاف إلى الدين وتُلحق به، وأما المعصية فهي مُخالفة للمشروع؛ لأنها خارجة عن الدين غير منسوبة إليه، فليس فيها مضاهاة، واضح الفرق؟ البدعة فيها مضاهاةٌ للمشروع؛ لأنها تضاف إلى الدين فالذي يفعلها، يفعلها على أن هذه دين، بخلاف المعصية فإنها مخالفة للمشروع؛ لأنها خارجة عن الدين لكن لا يحصل بها المضاهاة.
- الأمر الثالث مما يفترقان فيه: أن البدعة تستلزم تنقص الشرع والاستدراك عليه، وأنه لم يكمل، وأما المعصية فلا تستلزم ذلك؛ لأن صاحب المعصية يقر بمخالفته للشرع، إذن من الفروق أن البدعة تستلزم الاستدراك على الشرع، بخلاف المعصية فلا تستلزم ذلك.
- الأمر الرابع مما يفترقان فيه: أن صاحب البدعة يرى نفسه موقّرًا ومعظمًا لله عز وجل ولشرعه ولدينه، وأنه ممتثلٌ لأمره، وأما صاحب المعصية فهو بخلاف ذلك؛ لأن المعصية إنما تكون من عدم توقير الله والخوف منه، هذا أيضًا من الفروق

المهمة، صاحب البدعة يرى نفسه معظمًا موقرًا لله، وأنه ممتثلٌ أمره، ويتقرّب إلى الله عز وجل بهذا العمل، بخلاف صاحب المعصية فإنه على خلاف ذلك؛ لأن معصيته من عدم توقير الله عز وجل؛ ولهذا كان السلف رحمهم الله يقبلون رواية المبتدع إذا لم يكن داعيًا إلى بدعته ولم يكن ممن يستحل الكذب، ولا يقبلون رواية الفاسق؛ لأن المبتدع إذا لم يكن داعيًا إلى بدعته عنده ديانة، لكنه أخطأ وضل، و الرواية على ماذا؟ على الصدق في الخبر ؛ لأن المبتدع من حيث الديانة عنده ديانة وحرص وتقرب إلى الله بشرط ألا يكون داعيًا إلى بدعته، ولا يقبلون رواية الفاسق؛ خوفًا من أن يكذب.

- الأمر الخامس مما يفترقان فيه: أن صاحب المعصية قد يحدث نفسه بالتوبة والرجوع إلى الله عز وجل، بخلاف صاحب البدعة فإنه يصر على بدعته؛ لكونه يرى أن عمله قُربة،﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾[فاطر:٨]، يعني صاحب المعصية أقرب إلى التوبة من صاحب البدعة؛ لأن صاحب البدعة يرى أنه على حق، وأنه على هدى، وأنه متقرب إلى الله، لكن صاحب المعصية يقر بنفسه أنه عاصٍ.

- الأمر السادس مما يفترقان فيه: أن فتنة المبتدع فتنة شبهة، وفتنة العاصي فتنة شهوة

والفتن نوعان:

- شبهات.
- شهوات.

فالبدع من فتن الشبهات، والمعاصي من فتن الشهوات.

- ومن الفروق أيضًا:أن المعاصي وُجدت في عهد النبوة ووقعت، وأما البدع فلم توجد ولم تقع، وُجدت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ووقت، من زنا وسرقة وقذف وغيرها، وأما البدع فلم تقع ولم توجد؛ لأن هذه البدعة إذا أقرها النبي عليه الصلاة والسلام فهي شرع، وإذا لم يقرها فليس لها أصل.

المتن

قال:

باب ما جاء أن الله احتجر التوبة على صاحب البدعة

هذا مروي من حديث أنس ومن مراسيل الحسن.

الشرح

«احتجر» من الحجر وهو: أن المبتدع يصر على البدعة، يعني صاحب المعصية أقرب إلى التوبة والرجوع إلى الله من صاحب البدعة.

المتن

وذكر ابن وضاح عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأياً فتركه، فأتيت محمد بن سيرين فقلت: «أَشَعَرْتَ أن فلانا ترك رأيه؟» قال: «انظر إلى ماذا يتحول؟ إنَّ آخر الحديث أشد عليهم من أوله، يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه»، وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: «لا يوفق للتوبة».

الشرح

وهذا معنى ما تقدم لماذا أنه لا يوفق للتوبة؟ لأنه في قرارة قلبه، بل ويتقرب إلى الله عز وجل بهذه البدعة.

المتن

باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ...﴾إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: من ٦٥: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠].

وفيه حديث الخوارج وتقدم في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إن آل أبي فلان ليسوالي بأولياء، إنما أوليائي المتقون».

الشرح

باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني: يا أصحاب الكتاب.

والمراد بهم:

- اليهود: وهم أتباع موسى عليه الصلاة والسلام، وكتابهم التوراة.

- النصارى:وهم أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام، وكتابهم الإنجيل.

النصارى، وهو أولى مما يعبر به بعض الناس الآن من قولهم: (المسيحيين) هم ليسوا مسيحيين، لو كانوا مسيحيين لآمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام بشّر به، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[الصف:٦].

يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾أي: تجادلون في إبراهيم، ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران:٦٥].

وإبراهيم إمام الحنفاء تنازع فيه ثلاث طوائف:

- اليهودية.
- النصرانية.
- أهل الإسلام.

فحكم الله عز وجل بينهم فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧]، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[البقرة:١٣٠]، انظر:يرغب، عُدّي بـ(عن).

ورغب تارةً تُعد بـ(في)، وتارةً تعد بـ(عن):

- فإن عديت بـ(في) رغب في كذا يعني: أراده وطلبه، رغب زيدٌ في العلم.
- وإن عديت بـ(عن) فمعنى ذلك: الترك، هذا قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: يترك، كهذه الآية، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «فمن رغب عن سنتي فليس مني».

قال:﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يعني: عن شريعته ومنهجه وطريقه إلا من سفه نفسه، وهذا يدل على أن مخالفة ما جاءت به الرسل أنه من السفه؛ ولذلك كان السفه –وهو ضد الرشد– قد يكون في الدين، وقد يكون أيضًا في المال، وقد يكون في الأخلاق والأعمال.

- فأما السفه في الدين:فهو مخالفة سنن المرسلين، فكل من خالف سنن المرسلين فهو سفيه، فالعاصي حتى وإن ادعى العقل والرشد هو سفيه بقدر ما حصل منه من المخالفة.

الدليل على أن السفه يكون في الدين: هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾.

- ويكون السفه أيضًا في المال: وذلك ببذله في الحرام أو فيما لا فائدة فيه، أو ما ذكره الفقهاء: الغبن كثيرًا، يعني يُغبن، هذا السفيه في المال، فالذي يبذل ماله في المحرم سفيه، والذي يبذل ماله فيما لا فائدة فيه سفيه، والذي يُغبن كثيرًا بحيث يباع عليه ما يساوي عشرة بعشرين هذا أيضًا سفيه؛ لأنه لا يحسن التصرف في المال.
- ويكون السفه أيضًا في الخُلُق: وذلك بمخالفة المروءة، والمروءة هي: أن يفعل ما يجمّله ويزينه وأن يترك ما ويشينه يُدنّسه ، فكل من خالف المروءة، والمرجع في المروءة إلى العرف، فإنه يكون سفيهًا.

فلو فُرض أن: رجلًا مثلاً دخل إلى المسجد يصلي وقد لبس فانيلة وسروال، ومن العادة لبس القميص والعمامة والغترة، فخلعها ولبس السروال، ليس البنطال لا السروال الأبيض هذا، فأنكر شخصٌ عليه قال: (الشرط ستر العورة، وقد سترتها). نقول: صحيح، الصلاة من حيث الصحة صحيحة لكن هذا الفعل مخالف للمروءة.

منها أيضًا: الأكل في السوق، ذكر الفقهاء الأكل في السوق ان كان الإنسان في الشارع، وهذا يختلف أيضًا فالأكل في السوق ليس على إطلاقه، إذا وقع من شخصٍ في سفر، يعني من شخصٍ غريب فلا حرج، لكن إذا وقع من أهل البلد، والإنسان إذا جاء وحان وقت الأكل أو الغذاء أو نحوه وخرج أمام البيت وفرش وجلس يأكل، نقول هذا من السفه.

- وأيضًا من السفه ما ذكره الفقهاء، مما يخالف المروءة:لو مدَّ رجله بين الجالسين، هذا من السفه، أو كشف ما العادة ستره، هذا من السفه.

إذن الخلاصة: السفه يكون في الدين، ويكون في المال، ويكون في الخلق.

اذا: كيف السفه في الدين؟ السفيه في الدين ؟

مخالف الرسل والمرسلين.

: السفيه في المال؟

: الذي يغبن كثيرًا: والذي يبذل المال في غير طرقه المشروعة.

: والسفه في الخلق؟

: المخالفة في المروءة.

وقوله: «إن آل أبي فلان ليسوالي بأولياء، إنما أوليائي المتقون»، قال الله عز وجل:﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «من كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا».

المتن

وفيه أيضا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له أن بعض الصحابة قال: (أما أنا فلا آكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال آخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «لكنني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني»). فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوباً عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟

الشرح

نعم، هؤلاء النفر الثلاثة يقول: (وفيه أيضا عن أنس)، (أيضًا) مصدر: آض، يئيض إذا رجع رجوعًا على ما سبق.

وذكر حديث النفر الثلاثة الأصل أنهم سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فكأنهم تقالوها؛ (قال أحدهم: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: فأصلي ولا أنام، وقال الآخر: أما فأصوم ولا أفطر، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أما وإني أتقاكم لله وأخشاكم له») ثم أخبر عليه الصلاة والسلام أنه يصوم ويفطر، ويقوم

وينام، ويتزوج النساء، فمن رغب عن سنته فليس منه، وهذا دليل على تحريم التنطع والتكلف والتشدد، وما شدد إنسان على نفسه إلا شدد الله عز وجل عليه.

بل قال عليه الصلاة والسلام: «لا تشددوا فيشدد الله عليكم»؛ فعلى الإنسان أن يحرص على الاقتصاد في العمل وأن يكلف من الأعمال ما يطيق، كما قال عليه الصلاة والسلام: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا».

الشاهد قوله: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، فإذا كان هذا فيمن رغب عن السنة، وأراد الخير بالتبتل والعبادة، فما بالك عمن ترك السنة إلى البدعة؟

المتن

باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾

قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٣].

الشرح

باب قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾.

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ يعني: استقم على دين الله -عزَّ وجلَّ- ظاهرًا وباطنًا.

﴿حَنِيفًا﴾ الحنيف: هو المائل عما سوى الله.

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وقد فطر الله -عزَّ وجلَّ- الناس على عبادته.

ولهذا قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: «ما مَن مولودٍ إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

قال: وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

وقال: ﴿وَوَصَّى﴾ الوصية: هي العهد بأمرٍ هام، وهذا من أهم الأمور.

قال: وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- هو إمام الحنفاء، فأُمر الرسول -عليه الصلاة والسلام- أنْ يتبع ملته.

المتن

قال: وعن ابن مسعودٍ-رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن لكل نبيٍ ولاةً من النبيين وأنا وليي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي»،ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:٦٨]، رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«إنّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

الشرح

وهذا يدل على أنّ المدار على ما في القلب، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، وأما الصور والأموال فهذه ليس لها قيمة، الصور

والأموال إذا استعملها الإنسان في طاعة الله -عزَّ وجلَّ- فهذا خير، وإن استعملها في ما سوى ذلك فعليه وزرها.

وهذا يدل على أنّ الإنسان ينبغي له بل يجب عليه أنْ يعتني بما في قلبه، فمدار السعادة والشقاوة على ما في قلبه.

كما قال عن النبي عليه الصلاة والسلام: «ألا وإنّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

المتن

قال: ولهما عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إليَّ رجالٌ من أمتي، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي، فيُقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

الشرح

وهذا الحديث يقول: «أنا فرطكم»: الفرط هو المتقدم على الشيء.

يقول: «على الحوض وليرفعن إليَّ رجالٌ من أمتي»: والتعبير بالرجال بناءً على الغالب، وإلا فالنساء يدخلنَّ في ذلك.

قال: «حتى إذا أهويت لأناولهم» يعني: من الحوض.

«اختلجوا»يعني: انتزعوا واقتطعوا من «دوني، فأقول: أي رب» يعني: يا ربي.

«أصحابي، فيُقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» يعني: من البدع ومخالفة الدين.

ومن أعظم ذلك الردة عن دين الله عزَّ وجلَّ، فهؤلاء يمنعون من حوض النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فالذين ارتدوا يمنعون لأنهم كفار، كالذين حصلت منهم الردة في عهد أبي بكر رضي الله عنه، أما مَن مات على الإيمان فإنه يرد الحوض الذي وعد به النبيّ -عليه الصلاة والسلام- أمته.

المتن

قال: ولهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «وددت أنا قد رأينا إخواننا»، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواني هم الذين لم يأتوا بعد» قالوا: فكيف تعرف مَن لم يأتِ بعد من أمتك؟ قال: «أرأيتم لو أن رجلًا له خيلٌ غرٌ محجلةٌ بين ظهراني خيلٍ دهمٍ بهمٍ ألا يعرف خيله؟»قالوا: بلى قال:«فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجالٌ يوم القيامة عن حوضي كما يُذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيُقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: سحقًا سحقا».

الشرح

وهذا أيضًا فيه دليل على أنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- يعرف أمته بعلاماتهم، وفيه أيضًا ما حذر منه أو ما ساقه المؤلف تحذيرًا من المخالفة لما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام.

ولهذا قال: «إنهم بدلوا بعدك فأقول: سحقًا سحقا» يعني: بعدًا بعدًا لمن بدل بعدي

وهذا علامة أمته في قوله: «فإنهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من الوضوء» وفي رواية «من آثار الوضوء»، «إن أمتي يأتون يوم القيامة غرًا»: والغرة: ، بالأصل هي البياض في وجه الفرس، «محجلين من آثار الوضوء».

قال أبي هريرة: (فمَن استطاع منكم أنْ يطيل غرته فليفعل).

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إنّ أمتي يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء»، قال أبي هريرة: (فمَن استطاع منكم أنْ يطيل غرته فليفعل).

وهذه الجملة (مَن استطاع منكم أنْ يطيل غرته فليفعل)، هي مدرجة من كلام أبي هريرة وليست من كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- كما قال ذلك شيخ الإسلام؛ لأنّ إطالة الغرة ليست ممكنة؛ لأنه إذا أطال الغرة فمعنى ذلك أنه شرع في العضو الآخر، فإذا أطال الغرة في الوجه فمعنى ذلك أنه غسل الرأس، وإذا أطال الغرة في القدم فمعنى ذلك أنه غسل الساق وهكذا.

فالصحيح أنّ هذه الجملة كما قررها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وكذلك ابن القيم أنها مدرجة من كلام أبي هريرة.

وقد جاء ذلك مبينًا في مسند الإمام أحمد رحمه الله، فنعيم المجمر الراوي عن أبي هريرة قد بيّن ذلك، وقد أشار ابن القيم -رحمه الله- إلى ذلك في (النونية)، حيث ذكر مسألة إطالة الغرة، ثم قال:

والراجح الأقوى انتهاء وضوئنا ... للمرفقين كذلك الكعبان

هذا الذي قد حدد الرحمن في ال ... قرآن لا تعدل عن القرآن

فأبو هريرة قال ذا من كيسه ... فغدا يميزه أولو العرفان

ونعيمٌ الراوي له قد شك في ... رفع الحديث كذا روى الشيباني

وإطالة الغرات ليس بممكنٍ ... أيضًا وهذا واضح التبيان

المتن

قال: وللبخاري: «بينما أنا قائمٌ إذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلم فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرةٌ - فذكر مثله - قال: فلا أُراه يخلُص منهم إلا مثل همل النعم».

الشرح

وهذا فيه أمران:

- الأمر الأول: التحذير من الارتداد عن دين الله عزَّ وجلَّ، والارتداد عند دين الله قد يكون ارتدادًا كليًا وقد يكون ارتدادًا غير كلي، يعني قد يكون ارتدادًا كليًا وذلك بالردة.
- وقد يكون ارتدادًا بعضيًا يعني ببعض أحكام الدين وذلك بالبدع ومخالفة أمر الله، وإنْ شئت فقل: ارتدادٌ كامل وهو الخروج عن الدين، وارتدادٌ ناقص وذلك بأنْ يحدث في أمر الدين ما ليس منه أو يخالف شرع النبي عليه الصلاة والسلام.

المتن

قال: ولهما في حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما: فأقول كما قال العبد الصالح:﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة:١١٧].

ولهما عنه مرفوعاً: «ما مَن مولودٍ يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها»، ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠]،متفقٌ عليه.

وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: (كان الناس يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير وأنا أسأله عن الشر مخافة أنْ يدركني، فقلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟) قال: «نعم»، فقلت: (وهل بعد ذلك الشر من خير؟)، قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: (وما دخنه؟) قال: «قومٌ يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم

وتنكر»، قلت: (فهل بعد ذلك الخير من شر؟) قال: «نعم فتنةٌ عمياء ودعاةٌ على أبواب جهنم مَن أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: (يا رسول الله، صفهم لنا) قال: «قومٌ من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله، ما تأمرني إنْ أدركت ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإنْ لم تكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أنْ تعض على أصل شجرةٍ حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك» أخرجاه.

الشرح

وهذا فيه ظهور آية من آيات الرسول -عليه الصلاة والسلام- حيث أخبر بأنّ هذه الأمة سوف يحصل فيها الاختلاف والافتراق كما سيأتي أيضًا في الحديث حديث الموعظة التي وعظ النبي -عليه الصلاة والسلام- العرباض بن سارية سنبينه إنْ شاء الله تعالى في ذلك.

فهذا الحديث يدل على أنّ هذه الأمة سوف يحصل فيها الاختلاف والافتراق، وأنّ الواجب عند حصول الاختلاف والافتراق لزوم كتاب الله -عزَّ وجلَّ- وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء:٥٩]، فيلزم جماعة المسلمين ويلزم إمامهم، فإنْ قُدر أنه ليس هناك جماعة ولا إمام كما يوجد الآن في بعض بلاد الكفر، هناك طوائف إسلامية ويحصل بينها اختلاف، فعليه أنْ يعتزل بحيث لا يخالط هؤلاء؛ لأنه لو خالطهم فإنهم سيؤثرون عليه في منهجه وفي عقيدته.

المتن

قال:وزاد مسلم: ثم ماذا؟ قال: «ثم يخرج الدجال معه نهرٌ ونار، فمَن وقع في ناره وجب أجره وحط عنه وزره، ومَن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره»، قلت ثم ماذا؟

قال: «هي قيام الساعة»،وقال أبو العالية: (تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرَّفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسُنَّة نبيكم -صلى الله عليه وسلم- وإياكم وهذه الأهواء). انتهى.

تأمل كلام أبي العالية -رحمه الله تعالى- هذا ما أجله، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي مَن اتبعها فقد رغب عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسُنَّة والإسلام، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن الكتاب والسُنَّة، يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:١٣١].

الشرح

وذلك بأنْ يسلم ظاهرًا وباطنًا، فالاستسلام هو الاستسلام لله -عزَّ وجلَّ- ظاهرًا وباطنًا؛ لأنّ الإسلام إذا أفرض دخل في الإيمان.

المتن

وقوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[البقرة:١٣٠]،وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة، وبمعرفته يتبين معاني الأحاديث في هذا الباب وأمثالها، وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمنٌ مطمئنٌ أنها لا تناله ويظنها في قومٍ كانوا فبانوا أمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وعن ابن مسعودٍ-رضي الله عنه- قال: (خط لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطًا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبلٌ على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه» وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

فَـاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُـوا السُّـبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَـبِيلِهِ ذَلِكُـمْ وَصَّـاكُمْ بِـهِ لَعَلَّكُـمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣]رواه أحمد والنسائي.

الشرح

وهذا أيضًا هذه الآية وهذا الأثر عن ابن مسعود -رضي الله عنه- يدل على أنّ الواجب على المؤمن أنْ يحذر من سلوك غير هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وهدي أصحابه، وأيضًا ألا يغتر بكثرة الأتباع؛ لأنّ الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام:١١٦].

فكثرة الأتباع وكثرة سالكي هذا الطريق لا يعني أنْ يكون طريقًا صحيحًا صوابًا، ولهذا أهل الحق وأهل العدل وأهل الإسلام قلةٌ في مقابل أهل الباطل.

المتن

قال:

باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء

وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾[هود:١١٦]الآية.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء) رواه مسلم ورواه أحمد من حديث ابن مسعودٍ -رضي الله عنه-وفيه قيل: من الغرباء؟ قال: (النزاع من القبائل) وفي رواية (الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس)ورواه أحمد من حديث سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه.

الشرح

يقول: (باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء):

وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾، والنهي عن الفساد في الأرض يشمل الفساد الحسي- والفساد المعنوي؛ لأنّ الفساد في الأرض نوعان:

- إفسادٌ حسي وذلك بتخريب الديار والأشجار، ومن ذلك ما يحصل من القحط والجدب؛ لأنّ هذا القحط والجدب بسبب المعاصي والذنوب، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[الأعراف:١٣٠]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[الأعراف:٩٦].
- والنوع الثاني: إفسادٌ معنوي وذلك بنشر الكفر والفسوق والعصيان والضلال، كل هذا داخل في الفساد في الأرض.

يقول: وعن أبي هريرةمرفوعًا: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا)؛ حينما بدأ الإسلام بدأ غريبًا لأنهم كانوا قلة نفر قليل، (وسيعود غريبًا كما بدأ) يعني: أنّ في آخر الزمان يقل أتباع هذا الدين، فالناس يتفرقون ويختلفون.

قال: (وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء)، طوبى: قيل اسمٌ للجنة، وقيل إنها شجرةٌ في الجنة (طوبى للغرباء) وفي رواية (قيل: مَن الغرباء؟ قال: (النزاع من القبائل)، (النزاع من القبائل) النزاع جمع نازع والنازع هو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، ومعنى الحديث طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم وأهليهم لله عزَّ وجلَّ، (وفي رواية (الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس)).

المتن

قال: ورواه أحمد من حديث سعد بن أبي وقاصٍ -رضي الله عنه- وفيه: (فطوبى يومئذٍ للغرباء إذا فسد الناس).

وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبية عن جده (فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي).

وعن أبي أمية قال: (سألت أبا ثعلبة الخشني -رضي الله عنه- كيف تقول في هذه الآية؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥]، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال:«بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا وهوًى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإنّ من ورائكم أيامًا الصابر فيهنَّ مثل القابض على الجمر، للعامل فيهنَّ أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم قلنا: منا أم منهم؟ قال: بل منكم» رواه أبو داود والترمذي.

وروى ابن وضاحٍ معناه من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- ولفظه: «إن من بعدكم أيامًا للصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم، له أجر خمسين منكم».

الشرح

في هذا الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «فإنّ من ورائكم أيامًا الصابر فيهنَّ» يعني: في هذه الأيام «مثل القابض على الجمر»، وذلك لكثرة الصوارف والموانع التي تصد عن سبيل الله عزَّ وجلَّ.

يقول: «للعامل فيهنَّ أجر خمسين رجلًا»، وذلك لما يحصل له من المشقة في العمل بهذا الدين مع كثرة هذه الصوارف وهذه الموانع، والإنسان إذا عمل العمل وكان عليه

شاقًا يكون له أجران كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكِرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».

فهذا الذي يكون في غربة ويكون في أيام الصبر نقول له أجران: أجر العمل وأجر ما يحصل له من المصابرة، والإنسان في الغالب إذا كان قد أتقى الله -عزَّ وجلَّ- تجد أنه في الأماكن أو في الأزمنة التي تحصل فيها الغربة يزداد إيمانه، يكون ذلك سببًا لزيادة إيمانه؛ لأنه يقابل هذا الكفر بالإيمان وهذه المعصية بالطاعة.

فعلى الإنسان دائمًا أيضًا أنْ يسأل الله -عزَّ وجلَّ- الثبات على دينه، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: «إنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء».

فعلى المؤمن عند حصول الفتن وكثرة الصوارف وكثرة الشهوات وكثرة الداع إليها أنْ يسأل الله -عزَّ وجلَّ- الثابت؛ لأنّ الإنسان قد يزيغ من حيث لا يشعر، وأنْ يكثر من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٨]، وأنْ يحمد الله -عزَّ وجلَّ- على نعمة هدايته للإسلام وتوفيقه لسلوكه، ويسأله الثبات وإلا فإنّ الله -عزَّ وجلَّ- لو شاء لجعلك مثلهم.

ولهذا ابن القيم -رحمه الله- في (النونية) لما ذكر أهل البدع قال:

لو شاء ربك كنت أيضًا مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن

فيحمد الله على نعمة الإسلام، ويحمد الله -عزَّ وجلَّ- أيضًا على نعمة العقيدة والمنهج السليم، ويسأله مع ذلك الثبات.

اذا قال قائل : الجمع بين مضاعفة الأجور لمن ثبتوا على دين الله في هذه الأزمنة، وخيرية القرون الأولى.

نقول : لا منافاة بين كونه يُضاعف؛ لأنّ المضاعفة مضاعفة العمل من حيث هو هو يتضاعف من وجوهٍ أربعة:

- أولًا: بسبب العمل، يتضاعف من جهة العمل.
- أو بسبب العامل.
- أو بسبب الزمان.
- أو بسبب المكان.

من جهة العمل فبعض الأعمال يتضاعف أجرها، من جهة العمل وتعديه، فالعمل الواحد إذا كان مما يتعدى نفعه يتضاعف أجره، فمثلًا الإنفاق والبذل في أيام المساغب والشدة أعظم من الإنفاق والبذل في غيرها، فإنسانٌ أنفق درهمًا مثلًا في زمن مسغبة ومن حاجة وفاقة هو أعظم أجرًا ممن أنفقه في غير ذلك، فالأجر هنا تضاعف بسبب العمل.

أيضًا يتضاعف بسبب العامل ومنه قول النبي -عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٌ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيبه».

وكذلك أيضًا كما أخبر -عليه الصلاة والسلام- في آخر الزمان أن أجر الصابر على العمل أجره خمسين رجلًا؛ وذلك لأنه له أجر العمل وأجر الصبر والمصابرة على هذه الصوارف وهذه الموانع.

أيضًا يتضاعف العمل بسبب المكان، فالعمل مثلًا في حرم مكة ليس كالعمل في غيرها.

- يتضاعف العمل أيضًا بسبب الزمان، فالعمل في عشر ذي الحجة ليس كالعمل في غيره.

إذًا نقول العمل الصالح من حيث هو هو يتضاعف من وجوه أربعة:

- إما بسبب العمل وتعدي نفعه.

- أو بسبب العامل.
- أو بسبب الزمان.
- أو بسبب المكان.

المتن

ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد أنبأنا أسد قال سفيان ابن عيينة عن أسلم البصري عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت لسفيان عن النبي ﷺ؟ قال: نعم قال :إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في الله ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل وسكرة حب العيش، وستحولون عن ذلك فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين قيل منهم؟ قال :لا، بل منكم . وله بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله صلى الله علية وسلم (طوبى للغرباء الذين يتمسكون بالكتاب حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ.).

الشرح

فالغرباء هم أهل الصلاح وأهل استقامة الذين ساروا على ما كان عليه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه، بحيث يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصلحون ما أفسد الناس ويتمسكون بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»، وفي هذا أيضًا دليل على التحذير من التهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّ التهاون فيه سببٌ لانتشار الفساد.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾[هود:١١٦]، وقال النبي عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لتأمرنّ بالمعروف

ولتنهونّ عن المنكر ولتأخذنّ على يد السفيه، أو ليوشكنّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يبعث عليكم عذابًا من عنده،حتى تدعونه فلا يستجيب لكم».

المتن

قال: باب التحذير من البدع

عن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موعظةً بليغةً، وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإنْ تأمر عليكم عبدٌ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عيها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كل بدعةٍ ضلالة»، قال الترمذي حديث حسن صحيح.

الشرح

هذا حديث يقول: (باب التحذير من البدع)، وقد تقدم أنّ المؤلف -رحمه الله- أيضًا حذّر من البدع لكن شدد الكلام في ذلك لعظم الأمر؛ لأنّ البدع تعود على أصل الدين فوجب التحذير منها.

قال: (عن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موعظةً بليغةً)، (وعظنا): الوعظ هو الإعلام المقرون بترغيبٍ أو ترهيب، أو التذكير بما يليّن القلب ترغيبًا وترهيبًا، وقد تقدم أنّ الأولى والأحسن أنْ تُفسر الموعظة بأنها التذكير بما يصلح الخلق.

أكثر العلماء يعرفون الموعظة بأنها التذكير أو الإعلام المقرون بترغيبٍ أو ترهيب، والأولى والأحسن أنْ تُفسر الموعظة بأنها التذكير بما يصلح الخلق سواءٌ كان ترغيبًا أم ترهيبًا أم ذكرًا للأحكام الشرعية؛ لأنّ ذكر الأحكام الشرعية من الموعظة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠].

وقوله: (وعظنا) هكذا كان هدي النبي -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ- أنه يعظ أصحابه، ومواعظه لأصحابه إما على وجهٍ راتب كخطب الجمع والأعياد، وإما على وجهٍ عارض إذا عرض ما يوجب الموعظة وعظهم.

يقول: (موعظةً بليغةً)، والبلاغة في الموعظة: التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة وإيصالها إلى السامعين على أحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، هذه البلاغة في الموعظة، التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة وإيصالها إلى السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها.

يقول: (وجلت منها القلوب)، (وجلت) أي: خافت منها القلوب، (وذرفت منها العيون) (ذرفت) أي: سالت يعني الدموع، وهذه كنايةٌ عن البكاء وأنّ هذه الموعظة قد أثرت فيهم تأثيرًا بليغًا.

وهذان الوصفان: (وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون) بها امتدح الله المؤمنين عند سماع الذكر، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[الأنفال:٢]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الحج:٣٤-٣٥]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ۞ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[الزمر:٢٣]، وأيضًا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾[المائدة:٨٣].

إذًا من شأن المؤمنين ومن ثبات المؤمنين أنهم عندما يسمعون الموعظة أو يُذكرون بالله أن قلوبهم توجل وعيونهم تدمع.

يقول: (قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ)، فهموا أنها موعظة مودع لأن الرسول -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ- أبلغ في الموعظة ما لم يبلغ في غيرها في موضوعها وفي طريقة إلقائها، ففهم الصحابة أنها موعظة مودع.

قال: (فأوصنا) يعني: وصيةً جامعة؛ لأنهم لما علموا أنها وصية مودع، استوصوه وصيةً ينفعهم التمسك بها.

فقال عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «أوصيكم بتقوى الله»، وهذه وصية الله لعباده الأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء:١٣١]، وتقوى الله -عَزَّ وَجَلَّ- تحصل بها السعادة في الدنيا والآخرة.

قال: «والسمع والطاعة» يعني: لولاة المسلمين لأنّ فيها صلاح العباد وانتظام البلاد، وهذا مُقيد كما تقدم بما إذا لم يأمروا بمعصية.

قال: «وإنْ تأمر عليكم عبدٌ»: وإنْ أُمّر عليكم، وفي رواية: «حبشيٌ كأن رأسه زبيبة»، وسواءٌ كانت إمرته عامة أم كانت إمرته خاصة، وفي قوله: «وإنْ أُمّر» وفي رواية: «وإنْ تأمر» ظاهره يدل على أنه جعل نفسه أميرًا، وحينئذٍ تثبت إمامته وتجب طاعته حتى لو تأمر، إذا ما دام أنّ الأمر استتب له وانقاد الناس له فإنه يُعتبر إمامًا، وهذه إحدى الطرق التي تثبت بها الإمامة.

وقد ذكر أهل العلم -رحمهم الله- في الفقه وفي العقائد أنّ الإمامة العظمى والإمامة الكبرى تثبت بواحدٍ من أمورٍ أربعة:

- الأمر الأول: إجماع أهل الحل والعقد، فإذا أجمع أهل الحل والعقد على اختيار صالحٍ لها فإنه يكون إمامًا، لكن المراد: أهل الحل والعقد فإنه يكون إمامًا.
- وذلك كإمامة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فإنها كانت بإجماعٍ من أهل الحل والعقد لما اجتمع الصحابة بعد موت النبي -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ- في ثقيفة بني ساعدة واتفقوا على اختيار أبي بكر.
- الأمر الثاني مما تحصل به الإمامة: العهد أو الوصية من الخليفة قبله بحيث يوصي بخلافته وإمامته، كما حصل ذلك في إمامة عمر رضي الله عنه فإنها كانت بعهدٍ من أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه.
- الأمر الثالث مما تحصل به الإمامة: أنْ يجعل الأمر شورى في أناسٍ معينين بحيث يختارون منهم، كما في ولاية عثمان رضي الله عنه، فإنّ عمر لما حضرته الوفاة قيل له: يا أمير المؤمنين، ألا تستخلف لنا؟ فقال رضي الله عنه: إنْ أستخلف فقد استخلف من هو خيرٌ مني يعني: أبا بكر، وإنْ أترك فقد ترك من هو خيرٌ مني يعني: النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- الأمر الرابع مما تحصل به الإمامة العظمى: القهر والغلبة، فإذا قهر وغلب واستولى على البلاد وانتظمت له البلاد فإنّ إمامته تثبت، وإلى هذا يشير قول النبي عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «اسمعوا وأطيعوا وإنْ تأمر عليكم عبدٌ».

يقول عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «وإنْ أُمّر عليكم عبدٌ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا»، وهذا الاختلاف اختلافٌ في العقيدة واختلافٌ في العبادة واختلافٌ في المنهج، يعني معنى قوله: «من يعش منكم» يعني: من ستطول به الحياة فسيرى اختلافًا كثيرًا في العقيدة، والعبادة، والعمل، والمنهج، وحال الناس أيضًا بعضهم مع بعض، وحالهم مع ولاة أمورهم.

يقول عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «فعليكم بسنتي» أي: الزموا سنتي، وسُنَّة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طريقته التي كان عليها عقيدةً وعملًا وعبادةً وخُلُقًا.

يقول: «وسُنَّة الخلفاء الراشدين»، «وسُنَّة الخلفاء»: الألف واللام هنا للعهد، أي العهود؟ الظاهر أنّ العهد هنا عهد ذكري، يعني الخلفاء المذكورين المذكورة أوصافهم.

يقول: «فعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين»، «المهديين»هنا صفةٌ مُؤكدة؛ لأنه يلزم من كونهم راشدين أنْ يكونوا مهديين إذ لا رشد إلا بهداية، وقوله: «الراشدين»: وصفهم بالراشدين لأنهم عرفوا الحق وقضوا به وعملوا به، والرشد ضد الضلال والغواية.

يقول: «عضّوا عليها بالنواجذ»: كناية عن شدة التمسك بها.

ويقول: «وإياكم ومُحدثات الأمور»،«إياكم» أي: أحذر من محدثات الأمور، لما حث -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ- على التمسك بالسُنَّة حذّر من البدعة، فقال: «إياكم» يعني: احذروا، «ومُحدثات الأمور» أي: الأمور المُحدثة والمراد: الأمور المحدثة في الدين.

قال: «فإنّ كل بدعةٍ ضلالة» والبدعة كما تقدم هي الاختراع، وشرعًا: التعبد لله -عَزَّ وَجَلَّ- بما لم يشرعه عقيدةً أم عبادةً، كان قولًا أم عملًا، فكل عقيدةٍ أو قولٍ أو فعلٍ يتقرب به الإنسان إلى الله وليس له أصلٌ من الشرع فهو بدعة.

وقوله: «كل بدعةٍ ضلالة»يشمل ما كان مُبتدعًا في أصله وما كان مُبتدعًا في وصفه، فالبدعة قد تكون في وصف الشيء وقد تكون في أصله، فالأصل: كما لو شرع عبادةً لم يرد بها الشرع هذه بدعة من الأصل، والوصف: كما لو غيّر صفةً في عبادة أو زاد فيها ما ليس من الشرع.

إذًا نقول في قوله: «كل بدعةٍ ضلالة» يشمل ما كان مُبتدعًا في الأصل وما كان مُبتدعًا في الوصف، فما كان مُبتدعًا في الأصل مثاله: أنْ يشرع عبادةً لم يرد الشرع بها أصلًا، وما كان مُبتدعًا في الوصف: أنْ يغير وصف العبادة أو يزيد فيها مما لم يرد فيه الشرع، يعني عبادة مشروعة من الأصل ولكنه يزيد فيها أوصافًا، ما مثال ذلك؟ يعني لو صلى الظهر خمسًا، أو صار يطوف بالبيت ثمانية أشواط، أصل الطواف مشروع لكن غيّر في الوصف.

يقول: «فإن كل بدعةٍ ضلاله» وهذا كقوله -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردّ»، وهذا الحديث دليلٌ على مشروعية الموعظة عند وجود سببها، وأنه ينبغي أنْ تكون أيضًا الموعظة مؤثرة بأنْ يختار من الألفاظ ما فيه جزالةٌ وتأثير.

يقول: (قال الترمذي حديث حسنٌ صحيح)، هذه العبارة ترد كثيرًا عند الترمذي -رحمه الله- في سننه، يقول: حديثٌ حسنٌ صحيح، حديثٌ حسنٌ غريب، فما معنى قوله: (حديث حسنٌ صحيح)؟ نقول إذا قال الترمذي رحمه الله: (حديث حسنٌ صحيح) فلا يخلو إما أنْ يكون الحديث له طريقان أو له طريقٌ واحد.

انتبه، إذا قال: (حديث حسنٌ صحيح) فالحديث إما أن يكون له طريقان أو طريقٌ واحد، فإنْ كان له طريقٌ واحد فقوله: (حسنٌ صحيح) له معنيان:

- المعنى الأول: التردد بين الحسن والصحة.
- والمعنى الثاني: حسنٌ عند قومٍ، صحيحٌ عند آخرين.

إذًا إذا قال الترمذي:(حديث حسنٌ صحيح)، إنْ كان الحديث ليس له سوى طريق واحد، فمعنى (حديث حسنٌ صحيح) أحد أمرين: إما التردد يعني: الترمذي متردد هل الحديث حسن أو صحيح؟هل يرتقي إلى درجة الصحة أو أنه حسن؟ أو حسنٌ عند قومٍ ممن يتشددون مثلًا في الرجال، صحيحٌ عند آخرين.

وأما إذا كان الحديث له طريقان، فمعنى (حسنٌ صحيح) أي: أحد الطريقين حسن والآخر صحيح.

المتن

قال: وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كل عبادةٍ لا يتعبد ها أصحاب محمدٍ فلا تعبدوها،فإنّ الأول لم يدع للآخر مقالًا،فاتقوا الله يا معشر القراء،وخذ واطريق من كان قبلكم،رواه أبوداود.

الشرح

يقول: (كل عبادةٍ لا يتعبد ها أصحاب محمدٍ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فلا تعبدوها)؛ لأنه إذا لم يتعبدوا لله -عَزَّ وَجَلَّ- بها فهذا معناه أنها ليست مشروعة، فكل عبادة لا يتعبدون بها فليس مشروعة لأنهم أحرص منّا على الخير، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

وهذا فيه رد على من يتقربون إلى الله ببدعة المولد، نقول بدعة المولد أو إحداث مولد النبي -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ- لو كان مما يقرب لله -عَزَّ وَجَلَّ- لكان أحرص الناس على فعله الصحابة رضي الله عنهم.

اذا قال قائل : الاحتفال بمولد النبي كيف كان بدعة؟

نقول بدعة لأنهم يفعلون ذلك حبًا للنبي عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وحب الرسول -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ- من أعظم العبادات، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]، بل قال النبي -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، و ليت الأمر يقتصر على مجرد تذكر الرسول -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقراءة سيرته لا، يحدث فيها شركيات، فيطلبون من النبي -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ- المدد ويعتقدون أنه يحضر، يعتقدون أنّ الرسول -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ- يحضر موالدهم وأنه يأنس بأفعالهم، ويذكرون من الأشعار ما فيه كفرٌ وضلال كقصيدة البوصيري:الذي يقول فيها

يا أكرم الخلق من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

إلى أنْ قال:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

من جودك الدنيا وضرتها، ومن علومك علم اللوح والقلم، ماذا بقي لله؟ مع أنّ (من) للتبعيض.

المتن

وقال الترمذي: أخبرنا الحكم بن المبارك أنبأنا عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج. فلما خرج قمنا إليه جميعا. فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرا. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما

قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟

الشرح

هنا البدعة التي يفعلونها هو هذا الذكر الذي لم يرد به الشرع، تكبير مئة ويكبرون، ثم يهللون مئة، ثم أيضًا يسبحون مئة، وهذا مما لم ترد به السُنَّة، جنس التكبير وجنس التسبيح وجنس التسبيح والتحميد مما ورد: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، لكن تخصيص ذلك بقدرٍ مُعين أو بعددٍ مُعين هذا من البدع، فكل من قيّد عبادةً بوصفٍ مُعين أو عددٍ مُعين يعني كميةً أو كيفية فهذا من البدع.

وأما قوله: (وفي أيديهم حصى): كونهم يسبحون بالحصى هذا ليس بموجبٍ للإنكار، صحيح أنّ التسبيح بالأنامل أولى لكن يجوز التسبيح بالحصى، التسبيح بالحصى جائز، ولهذا إحدى أمهات المؤمنين حينما دخل النبي -عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ- عليها وهي تعد أو تسبح الحصى قال: «اعقدن بالأنامل فإنهن مستنطقات».

في قوله: (ماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك)، وفي هذا دليل على الرجوع إلى من هو أعلم، فأبو موسى -رضي الله عنه- رجع إلى عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه، والإنسان ينبغي ولا سيما في الأمور التي يتردد فيها ألا يبادر بالإنكار حتى يستشير ويتأمر.

المتن

قال: ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الله حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد ما أسرع

هلكتكم! فهؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه. إن رسول الله حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج."

والله المستعان وعليه التكلان وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشرح

وهذا يدل على أنّ حسن النية والإرادة والقصد لا يبرر صحة العمل، لا يلزم من حسن النية والإرادة والقصد أنْ يكون العمل صحيحًا، فقد يكون الإنسان حسنًا في نيته وإرادته للخير لكن لا يُوفق إلى الصواب.

نسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- التوفيق والسداد، وأنْ يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأنْ ينفع بهذه الرسالة من قرأها وسمعها وألّفها إنه جوادٌ كريم.

-